مجلة جامعة الملك سعود، م١٦ ، اللغات والترجمة، ص ص ١ - ٣٢ (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)

مشكلات الترجمة:دراسة تطبيقية

محمد نبيل النحاس الحمصي

أستاذ مشارك، قسم اللغات الأوربية،

كلية اللغات والترجمة، جامعة الملك سعود،

الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ١٤٢٢/١/٢٧هـ ؛ وقبل للنشر في ١٤٢٢/٢/١٨هـ)

ملخص البحث. إن انعدام التطابق التام بين اللغات على كافة الأصعدة يجعل من الترجمة عملية صعبة إن لم تكن مستحيلة في بعض الحالات. فهل يعني ذلك أن نقف مكتوفي الأيدي ؟ بالطبع لا. سوف نسلط الضوء في هذا البحث، بالأمثلة، على الحلول التي يلجأ إليها المترجمون لتذليل الصعاب التي تعترض سبيلهم، علماً أن كل من يعمل في مجال الترجمة يستخدم هذه الحيل مكرهاً، حرصاً منه على إخراج نص لا يشوه اللغة التي ينقل إليها ويتلاءم مع وسائل التعبير فيها ويحترم روحها. وتنقسم هذه الحلول إلى سبعة، ثلاثة منها مباشرة وهي الترجمة بالدخيل، الترجمة بالنسخ و الترجمة الحرفية. وأربعة حلول ملتوية، إن صح التعبير، هي الترجمة بالتحوير، والترجمة بالتكييف، والترجمة بالمعادل أو المقابل وأخيراً الترجمة بالاقتباس أو التصرف. وغني عن القول أنه ينبغي عدم الإفراط في استخدام هذه الوسائل واللجوء إليها في الحالات التي يتعذر فيها إخراج ترجمة تتلاءم مع طرائق التعبير في اللغة المنقول إليها.

مقدمة

يطالعنا مونتسكيو Montesquieu، الأديب والفيلسوف الفرنسي الشهير، في إحدى رسائله الفارسية Lettre persanes أن شخصية باريسية قالت : " لقد فرغت من هوراس Horace ووضعته بين أيدي القراء "، فأجابها المهندس قائلاً :" تقصد أن القراء يتداولون الكتاب من ألفي سنة إلى الآن."

- لقد أسأت فهمي، إن ما فعلته هو أنني قدمت إلى جمهور القراء ترجمة جديدة لأعمال هذا الكاتب : فأنا أعمل في مجال الترجمة منذ عشرين سنة.

- كيف ؟ منذ عشرين سنة وأنت لا تفكر ! تكتب من أجل الآخرين، والآخرون يفكرون عنك !

- ألا تعتقد يا سيدي أنني أسدي خدمة كبيرة إلى القراء عندما أجعلهم يعتادون على قراءة كبار الكتاب ؟

- لا أقصد ذلك، فأنا، كغيري، أقدر المواهب العظيمة التي تشوهها ؛ ولكن ليس ثمة أي شبه بينك وبينها. فأنت لو ترجمت دائماً، لن يترجم لك أحد قط. إن الترجمات أشبه بقطع نقد نحاسية تساوي قيمتها قيمة قطعة ذهبية، بل هي أكثر تداولاً من القطعة الذهبية، ولكنها تبقى بخسة الثمن ورديئة النوعية. أنت تريد بعث مشاهير الأموات، فتعطيهم جسداً، ولكنك لا تنفث فيهم الحياة. فتراهم يفتقرون إلى الروح. لِمَ لا تنكب على البحث عن الحقائق الجميلة التي لا يتطلب اكتشافها جهداً كبيراً؟"[١٦، ص٣٥].

مما لاشك فيه أن مونتسكيو يقصد في حكمه ترجمة الأعمال الأدبية. ولكن لو كان بيننا اليوم، هل كان يُقدِم على كتابة هذه السطور في عصر شهد ويشهد تقدماً وتطوراً هائلين في مجالات العلوم والتكنولوجيا والاتصالات...، مما جعل من الترجمة شراً لابد منه؟ لن نخوض هنا في مهنة الترجمة وما يكتنفها من حيف وضيم وجحود، ونقصد

بالترجمة النصوص الجيدة التي يخرجها كبار المترجمين بعمل دؤوب وجهد فكري لا يستهان به. إن ما نريد تسليط الضوء عليه في رسالة الأديب والمفكر الفرنسي الشهير هو قوله إن الترجمة تؤدي إلى تشويه النص الأصلي، أي بعبارة أخرى أن للمثل الإيطالي السائر " المترجم خائن خوان " traduttore traditore وللمقولة الفرنسية الموازية " الترجمة خيانة " traduction trahison ما يبررهما ؟

لئن كانت الترجمة قديمة قدم الحضارة، ولئن كان التفكير فيها وطرح ما يندرج في إطارها من قضايا ليس بالأمر الجديد، فإن عمل المترجم وما يبذله من جهد وتفان لم يحظ بما يستحقه من عناية واهتمام إلا منذ عهد قريب، ولم تفرد له دراسات نظرية منهجية إلا في النصف الثاني من القرن العشرين. ربما لأن الترجمة عملية تواصل من نوع خاص، فالمترجم إنما يرمي إلى ما يقصده المفسر حين يشرح للسامع أو القارئ كلاماً في لغة لا يفهمها، أي إلى البلاغ والبيان والإفهام. ولذلك تخضع الترجمة لما يخضع له التواصل اللغوي عامة من شروط وأحكام. فهي تتطلب طرفين هما المترجم والمترجم له، إضافة إلى نص البلاغ وهو الواسطة بينهما، ثم القوانين التي يشترك فيها الطرفان مبدئيا كي تتم عملية التواصل أو الإبلاغ ومن بينها القانون أو النظام اللغوي.

ولاشك أن الترجمة عملية مركبة ومعقدة إذ فيها ما هو لغوي، وما قد يخرج عن إطار اللغة ويتجاوزها إلى ما وراء الكلام أي إلى الموقف الذي يندرج فيه الإبلاغ، والسياق الثقافي والحضاري الذي كتب في إطاره النص الأصلي من جهة، والسياق الثقافي والحضاري الذي تجري فيه عملية الترجمة، ويخرج فيه النص المترجم من حيز الكمون إلى حيز الواقع من جهة ثانية.

ثمة إذن قضايا تتعلق بالمترجم وما ينبغي أن يتحلى به من علم ومعرفة ودراية، وأخرى تتعلق بالبلاغ أو النص المراد نقله أو ترجمته، وثالثة تتعلق بإشكالية النقل من لغة

إلى أخرى وإلى أي حد تكون الترجمة ممكنة أو مستحيلة. ويرجع الفضل في إثارة هذه القضايا، وتدارك ما حصل من تقصير في مجال تنظير الترجمة بالدرجة الأولى في الواقع إلى تقدم الدراسات اللغوية وتطورها، بعد ظهور علم اللغويات علماً مستقلاً موضوعه اللغة [٦ ، ص٢٥٥ -٢٥٦].

إن عمل المترجم يتمثل مبدئياً في نقل المعنى أو الدلالة من لغة إلى أخرى. يقول ابن منظور صاحب لسان العرب إن ترجمة الكلام تعني نقله من لغة إلى أخرى. ولكن للترجمة في الحقيقة مظاهر أخرى تتجلى من خلالها :

- منها ما هو ضمني يتم في ذهن الإنسان المتكلم بلسانين اثنين أو أكثر، وما قد يكون بين الواحد والآخر من تداخل واختلاط نسميه اليوم التداخل اللغوي interférence linguistique، وهو ظاهرة أشار إليها الجاحظ في كتاب الحيوان إذ قال : " ومتى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها وتعترض عليها " [٦ ، ص ٢٥٨].
- ومنها ما يتم في صلب اللغة الواحدة فلا يكاد يشعر به الإنسان، كمن يصدر رسالة لا يدرك المخاطب منها مقاصد المرسل مما يجعل الأخير يعيد مقولته بصيغة جديدة. أو كمن يحقق نصاً قديماً، فيكثر من الحواشي التي من شأنها أن تمكن القارئ المعاصر من تجاوز العقبات اللغوية والثقافية الناتجة عن الفاصل الزمني، وتساعده في إدراك دلالات النص. والمحقق هنا ينقل من لغة في حال معينة إليها في حال أخرى فيترجم كلمة بأخرى مرادفة لها أو بأخرى من مجال لغوي آخر أو حتى بعبارة طويلة.

- ومن الترجمة نوع ثالث هو الذي ينقل فيه المترجم من نظام دلالي أو سيميائي رمزي إلى آخر، كأن ينقل مثلا قصة فيترجم رموزها اللغوية إلى لغة المسرح أو السينما أو يجعل منها صوراً متحركة، وما إلى ذلك.
- وإذا استثنينا النوع الأول الذي يسميه البعض "الترجمة الذهنية" كانت لنا ثلاثة أنواع من الترجمة أتى على ذكرها رومان جاكوبسون Roman Jakobson [٥، ص ٦٠-٦١]، وهي كما يلي :

١ - الترجمة في صلب اللغة الواحدة intralinguale .

٢ - الترجمة من لغة إلى أخرى interlinguale .

٣ - الترجمة من نظام دلالي إلى آخر intersémiotique .

إن ما يهمنا في هذا المقام هو الترجمة بين اللغات، أي الترجمة بمفهومها الشائع. فإذا ما بحثنا في أمرها واطلعنا على ما تثيره من قضايا وما وضعه اللغويون من نظريات تتناول طرق أدائها لوجدنا أفكاراً متعددة ومتشعبة، منها ما يعتبر الترجمة عملية مستحيلة، ومنها من يقول إنها ممكنة، منها ما يوصي بالأداء الحرفي، ومنها ما يعطي المترجم الحرية الكاملة في الابتعاد عن النص كلما اقتضى ذلك احترام نظام اللغة الهدف وبنياتها وطرائق التعبير فيها.

يقول جورج مونان Jeorges Mounin إن الخطر الحقيقي الذي يهدد الطرح القائل بإمكانية الترجمة هو تلك النظرية التي تنص على أن اللغة توجه وتصنع وتحدد وتثبت الطريقة التي ننظر بها إلى العالم. وهذه النظرية، في رأي اللغوي الفرنسي، تتربص بشكل خاص باللغويين المنهمكين بتحليلات لغوية وصفية وشكلانية لا تتناول اللغة إلا في وضعها الحالي ولا تعير عامل الزمن وتأثيراته في اللغة كبير اهتمام. بل هم يعتبرون أن اللغة لا توجه وتنظم نظرتنا إلى العالم فحسب، وإنما تجمدها أيضاً. وبتركيزهم على هذا الاتجاه

يغيب عن أذهانهم أن هناك اتجاه عكسي يمارس فيه عالم المحسوسات تأثيره على اللغة. إن الطرح القائل إن اللغات تحدد نظرتنا إلى العالم وتجمدها ليس صحيحاً إلا على صعيد التحليل الآني. والحقيقة هي أن نظرة الإنسان إلى العالم واللغات ليست جامدة ؛ والترجمة التي هي اتصال بين لغتين ليست موقفاً لغوياً جامداً. وكما توجد علاقة جدلية بين العالم واللغة ، هناك أيضاً علاقة جدلية بين لغة وأخرى : إن تعذر الترجمة بين لغتين ينجم عن تاريخ الاتصالات بين هاتين اللغتين بالقدر الذي ينجم فيه عن السمات الخاصة بكل لغة من اللغات. لذا يجب أن تأخذ دراسة إمكانية الترجمة من لغة إلى أخرى بعين الاعتبار نظامي هاتين اللغتين وأن تحللهما تحليلاً لغوياً وصفياً. وينبغي أيضاً النظر في تاريخ الاتصال بين هاتين اللغتين. ويسوق مونان برهاناً على وجهة النظر هذه نحو تاريخ الترجمة من الروسية إلى الفرنسية قائلاً : إن الترجمة من اللغة الروسية إلى اللغة الفرنسية في يومنا هذا تختلف عما كانت عليه قبل ٣٠٠ سنة عندما لم يكن هناك قاموس فرنسي- روسي واحد وكانت الاتصالات نادرة. ولكن منذ القرن الثامن عشر الميلادي توالت الترجمات والرحلات وأخبارها مضيفة مواقف مشتركة بين اللغتين ، وكل اتصال كان ينير الطريق أمام الاتصال اللاحق إلى أن ذاع صيت تولستوي ودوستويفسكي وأضحت أعمالهما في متناول ملايين القراء الفرنسيين ، مما يعتبر أيضاً وسيلة اتصال بين اللغتين. وكلما ازدادت المواقف التواصلية كلما تقلص التباين في المواقف غير المشتركة من لغوية وغير لغوية [١٤ ، ص٢٧٦ -٢٧٧].

ولكن طرح مونان لا يتفق مع رأي القائلين باستحالة الترجمة والذين ينطلقون من فكرة أن الترجمة ليست نقلاً للمادة الصوتية أو للمظهر المادي للرموز اللغوية ، الدال signifiant ، وإنما هي نقل للمعنى أو المدلول signifié ، ويعتبرون أن الدلالة غير قابلة للنقل. ذلك أن كل نظام لغوي يشتمل على تحليل خاص به لظواهر العالم الخارجي ،

يختلف عن اللغات الأخرى وحتى عن مراحل أخرى من مراحل اللغة نفسها. وهذا النظام اللغوي ينتقل إلى الأجيال اللاحقة حاملاً لها، أو بالأصح فارضاً عليها تفسيراً معيناً للظواهر غير اللغوية.

ومهما يكن من أمر، يمكن القول إن مواقف القائلين باستحالة الترجمة تستند بالدرجة الأولى إلى اختلاف العادات والتقاليد والثقافات، وإلى أن اللغة تصور تجربة بشرية هي تجربة الناطقين بها، وأن الأبنية الصرفية والنحوية تختلف من لغة إلى أخرى. ومن المواقف أيضاً ما يتجاوز المستوى اللغوي إلى المستوى الأسلوبي الإنشائي.

لاشك أن نقل مجال من مجالات الحياة في حضارة من الحضارات قد لا يكون يسيراً إن لم يتوفر له مثيل في حضارة اللغة المنقول إليها. فكيف ينقل المترجم مسميات الخبز المتعددة لدى الفرنسيين والتي نجد في كتاب مونان، المشكلات النظرية للترجمة، قائمة مذهلة بها، أو كيف يترجم التسميات المختلفة التي يطلقها سكان " الإسكيمو" على الثلج ؟ فاسم الثلج أثناء الهطول يختلف عنه عندما يكون على الأرض، وعندما يصبح قاسياً أو طرياً... تلك أمثلة تتعلق بمظاهر الطبيعة والحياة اليومية. وإذا انتقلنا إلى باب العلاقات الاجتماعية والقيم والمعتقدات فالأمثلة كثيرة أيضا. فكلنا يعرف أن الكلمة اللاتينية Pater يقابلها بالفرنسة Père أي أب. والواقع أن "قيمة" هاتين الكلمتين تختلف من لغة إلى أخرى. فالكلمة اللاتينية تعطي الأب اللاتيني حق التصرف بحياة أطفاله، وبذلك فهي تختلف عن قيمة الكلمة الفرنسية المقابلة، وكلاهما تختلفان عما تشمله الكلمة العربية من مدلولات.

أما على صعيد الممارسة فإن الباحث يتبين أن كلمات كثيرة لا تتطابق من لغة إلى أخرى من حيث مجالاتها الدلالية. وحسبنا أن نستشهد بكلمتي fleuve, rivière الفرنسيتين اللتين نترجمها عادة بكلمة " نهر " العربية وكلمة river الإنجليزية بينما يفرق الفرنسي بينهما، فالأول لا يصب في البحر، بعكس الثاني. ولدينا في العربية " العم والخال "، وليس

للفرنسي سوى كلمة واحدة يستعملها في المقامين وهي oncle ويضيف إليها ما يميزها من حيث نسبتها إلى الأب أو الأم.

وهناك مشكلة أخرى وهي أن بعض الكلمات في لغة ما ليس لها مقابل في لغة أخرى، وهذا ما يسمى بالخانات الفارغة cases vides ، ولذلك اقتبست العربية قديماً كلمات عديدة من الحضارات المجاورة، واقترضت اللغات الأوربية كالفرنسية والإنجليزية والألمانية في الماضي مفردات كثيرة من الحضارة العربية لا تزال في قواميسها إلى يومنا هذا.

هذا فيما يتعلق بترجمة المعاني المباشرة Dénotations للكلمات. وتزداد الأمور صعوبة عندما يواجه المترجم ما يسمى بالإيحاءات أو الظلال أو المعاني المصاحبة Connotations إن المعنى المباشر هو الرابطة بين الرمز ومدلوله، وهي دلالة موضوعية يرجعنا إليها القاموس. أما المعنى المصاحب فهو ما تكتسبه الكلمة من إيحاءات في وقت من الأوقات ولدى جماعة لغوية معينة، تنضاف إلى المعنى المباشر. مثال ذلك كلمة " سيارة " ، أي وسيلة من وسائل المواصلات. ففي وقت مضى، وعندما كان عدد مالكي السيارات قليلاً جدا، كانت عبارة " فلان اشترى سيارة " تعني :

- أن فلانا اشترى وسيلة مواصلات تسمى "سيارة"
- أن لديه الإمكانات المادية اللازمة لشرائها، أي أنه ثري.

ومهما يكن من أمر، فالدلالات المصاحبة جزء لا يتجزأ من اللغة. مثال ذلك "الحجر الأسود" بالنسبة إلى المسلمين. فهو يشتمل على قيم معنوية يجهلها أولئك الذين لا يعرفون الحضارة الإسلامية وتاريخها.

وتزداد الصعوبات التي تواجه المترجم تعقيدًا عندما ينتقل إلى ترجمة الأعمال الفنية الإبداعية من شعر وقصة وغيرهما. يقول الجاحظ إن الشعر لا يترجم " ولا يجوز عليه النقل ومتى حول تقطع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه وسقط موضع التعجب منه، وصار

كالكلام المنثور" [٦ ، ص ٢٧٠].. وبما أن العمل الإبداعي يعتبر وحدة متكاملة شكلاً ومضموناً، وأن الحكم عليه لا يقتصر على المعاني والمدلولات، يعني ذلك أننا وصلنا إلى النتيجة التي وصل إليها الجاحظ وغيره. فكيف نترجم هذا البيت الذي يتلاعب فيه الشاعر بالألفاظ :

وأرضهم ما دمت في أرضهم	ودارهم ما دمت في دارهم

أو هذين البيتين :

فلما كل متني كلمتني	طرقت الباب حتى كل متني
فقلت لها أيا سما عيل صبري	فقالت لي أيا اسما عيل صبراً

بل كيف نترجم الأمثال والأقوال المأثورة مثل " عند جهينة الخبر اليقين "، أو " رجع بخفي حنين "، أو " وافق شن طبقه ".

إن هذه الصعوبات وغيرها هي التي تجعل البعض يقول باستحالة الترجمة. ولابد أنها كانت حاضرة في ذهن مونتسكيو عندما اعتبر أن في ترجمة المواهب العظيمة تشويه لها.

ولكن تلك الأسباب اللغوية والثقافية والحضارية التي يسوقها البعض للقول باستحالة الترجمة هي نفس الأسباب التي يطرحها القائلون برهاناً على إمكانية الترجمة. فالبشر يستوون في أنهم يشتركون في سمات وخصائص واحدة، ويعيشون في عالم واحد، ولهم لغاتهم الخاصة، ومعتقداتهم الدينية، وأنظمتهم التربوية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها. وإذا أخذنا مبدأ اعتباطية الرمز اللغوي arbitraire du signe linguistique وخاصة اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول، واعتباطية العلاقة بين الكلام

من جهة، والبلاغ الذي يبقى مستقلاً نسبياً عن صيغته اللغوية من جهة أخرى، قلنا إن الترجمة عملية ممكنة. إن القول بوجود خصائص عامة مشتركة بين اللغات، واستخراج هذه الخصائص، وإقامة البراهين عليها يؤكد نظرياً إمكانية الترجمة. فضلاً عن أن الوقوف على أوجه الاتفاق والتباين بين اللغات يعود بالفائدة الكبيرة على المترجم. وإذا نظرنا إلى قضية المعنى أو الدلالة وإلى إمكانية إدراكها أثناء عملية الترجمة وصلنا إلى أن إدراك الدلالات في لغة من اللغات ليس أمراً مستحيلاً إذا كان المترجم عارفاً بقوانين اللغة وبالأطر الثقافية والحضارية والتاريخية التي تندرج فيها تلك الدلالات. إن القول باستحالة الترجمة ينطوي على نفي لإمكانية التواصل بين المجموعات البشرية، وهذا غير صحيح. أما إذا قلنا بإمكانية التواصل الذي يقوم على الاستعمال الفردي لقوانين عامة هي قوانين اللغة، فإن الترجمة تمثل عندئذ وجهاً من أوجه التفاهم. استنادا إلى ما تقدم، يمكن القول إن الترجمة ممكنة، وعلى وجه الخصوص عندما يكون البلاغ مستقلاً عن صيغته اللغوية، أي عندما تكون اللغة مجرد وسيلة لنقل البلاغ وليست غاية بحد ذاتها [٦ ، ص ٢٧٢ -٢٧٣]. ولكن يجب أن ندرك أنه حتى في هذه الحالة، لابد أن يفقد البلاغ أو النص شيئاً من قيمته، وهذه ظاهرة معروفة في علم الفيزياء يطلق عليها انتروبيا entropie وتستخدم اليوم في نظرية الاتصال وفي الدراسات التي تعنى بالاتصال والتواصل. والجزء المفقود في الترجمة هو الفرق بين النية والقصد. لذلك يبقى مفهوم الأمانة في الترجمة مفهوما نسبياً، ولذلك أيضا يمكن أن تكون هناك ترجمات عديدة للأصل الواحد [٧، ص٢٣٧]..

أما بعض الأنواع من النصوص التي لا يقصد منها مجرد التواصل أو الإبلاغ كالشعر والأمثال والأقوال السائرة والشعارات وغيرها، فإن ترجمتها تشكل صعوبات جمة بالنسبة للمترجم لأنها لا ترمي إلى التواصل بالدرجة الأولى. فقد أصبحنا نعرف اليوم بفضل اللسانيات المعاصرة :

- أن التجربة الشخصية لا يمكن نقلها بحرفيتها.
- أنه ليس هناك تطابق دائم بين الرموز اللغوية من لغة إلى أخرى.
- أن التواصل ممكن بالرجوع إلى المواقف المشتركة بين المرسل والمتلقي أو بين الكاتب والمترجم.

ذلك أن اللغة أداة وغاية في آن معا. فكلما طغت الوظيفة الجمالية أو الفنية، كلما فقد الخطاب استقلاليته عن القالب اللغوي، الأمر الذي يزيد من صعوبات الترجمة.

حلول المترجمين وحيلهم

مهما يكن من أمر، لا يمكن القول إذن بوجود تطابق بين لغتين من اللغات. ونظراً لانعدام التطابق في الرموز بين اللغات عامة فإن الرسالة الكلامية هي وحدها الكفيلة بتحقيق نوع من التطابق في الترجمة. فنقل الخطاب من لغة إلى أخرى قد يتعذر أحياناً إن لم يتم تذليل بعض العقبات اللغوية أو الحضارية أو الأسلوبية الإنشائية. ويستخدم المترجم في محاولاته الرامية إلى تجاوز تلك العقبات أساليب متعددة يسميها البعض "حيل المترجمين".

يقول فينيه وداربلنيه Vinay et Darbelnet في كتابهما " الأسلوبيات المقارنة بين الفرنسية والإنجليزية " إن المترجم يقوم أثناء عملية الترجمة بالموازنة بين نظامين لغويين، أحدهما تم التعبير عنه وأصبح ثابتاً (النص الأصلي)، والثاني لازال في طور الكمون والإعداد (النص المترجم). أمام المترجم إذن نقطة انطلاق، ويحضر في ذهنه نقطة وصول. وتكفي أحيانا قراءة النص الأصلي لكي يكون المترجم في ذهنه تصوراً لما سيكون عليه النص المترجم. يبقى عليه أن يتحقق من نصه ومن عدم إهماله لأي عنصر من عناصر النص الأصلي" [١٩ ، ص٤٦-٥٤] . وقد توصل الكاتبان إلى مجموعة من الوسائل التي يلجأ إليها المترجمون في محاولاتهم الرامية إلى الوصول إلى تطابق تام بين النصين، وذلك

حسب ثقافة كل منهم ومعرفته باللغتين المنقول منها والمنقول إليها. وسنأتي فيما يلي على ذكر هذه الوسائل التي يلجأ إليها في الحقيقة كل من يعمل في مجال الترجمة، وبشكل لاشعوري في غالب الأحيان، وسنلحقها بأمثلة من اللغة الإنجليزية وترجمتها إلى الفرنسية أو بالعكس. كما سنقترح ترجمة عربية للمثال الإنجليزي أو الفرنسي ليتسع أمام القارئ مجال المقارنة. ومن الملاحظ أن الترجمة العربية تتطابق في بنيتها مع العبارة الإنجليزية أحياناً، والفرنسية أحياناً أخرى. قد يتساءل القارئ عن سبب إقحام اللغة الإنجليزية في بحث يقوم أساساً على مراجع عربية وفرنسية. لقد أردنا في الحقيقة، أسوة بالكاتبين الكنديين فينيه وداربلنيه من جهة، توسيع رقعة المقارنة لنشمل لغات ثلاث، موفرين بذلك للقارئ مجالاً أوسع للنظر في التطابق من عدمه. وأردنا، من جهة ثانية، ألا تغيب اللغة الإنجليزية التي أصبحت اليوم لغة العولمة عن هذا البحث.

تنقسم هذه الوسائل إلى نوعين هما الترجمة المباشرة والترجمة غير المباشرة.

أولا: الترجمة المباشرة ولها أنواع ثلاثة هي :

١- الترجمة بالدخيل أو الاقتراض l'emprunt

ينتج هذا النوع من الترجمة عادةً عن قصور في اللغة المنقول إليها (تقنية جديدة - مفهوم غير معروف...)، وهذه الطريقة هي أسهل طرائق الترجمة ولا تستحق أن نعيرها كبير اهتمام لولا أن بعض المترجمين يستخدمونها في بعض الأحيان لإضفاء صبغة أسلوبية معينة أو طابع محلي ما. مثال ذلك استخدام كلمة concierge الفرنسية عندما يتعلق الأمر بمشهد تدور أحداثه في باريس، مع أن المقابل الإنجليزي janitor متوفر. ومن ذلك أيضاً كلمة intifada التي دخلت القواميس الفرنسية منذ الانتفاضة الفلسطينية الأولى في عام ١٩٨٧. ومما يستحق الذكر هنا أن العرب اقتبسوا في الماضي من لغات عديدة منها اليونانية

(فندق وإزميل ولص وأسطول)، و اللاتينية (قنطرة وقبان ودينار وفردوس) وغيرها، كما اقتبست منهم شعوب أخرى عدداً كبيراً من المفردات. ولاشك أن في الدخيل إثراء للغات بشكل عام.

٢- الترجمة بالنسخ le calque

ويمكن تعريف هذه الطريقة بأنها اقتباس مترجم. وتقوم على اقتباس تعبير معين وترجمة العناصر المكونة له ترجمة حرفية كما يفعل الفرنسيون عندما ينقلون التعبير الإنجليزي season compliments إلى compliments de la saison أو عندما يتمنون لبعضهم البعض نهاية أسبوع سعيدة بقولهم bonne fin de semaine وهي عبارة منسوخة عن العبارة الإنجليزيةweek end . وفي العربية لدينا "من طرف فلان" وهو تعبير منحوت عن الفرنسية de la part de ، والكاف عندما نقول إن فلاناً يعمل كمدرس il travaille comme enseignant . وإذا قلنا إن فلاناً لعب دوراً مهماً في هذه القضية فإننا ننسخ عن الفرنسية il a joué un rôle important dans cette affaire .

٣- الترجمة الحرفية la traduction littérale

الترجمة الحرفية قريبة من النسخ وتقوم على الترجمة كلمة - كلمة فلا تحيد عن النص الأصلي ولا تخالف نظام اللغة الهدف. وفي هذا النوع من الترجمة لا يلجأ المترجم إلى التغيير إلا للتقيد ببنيات لغة الوصول. مثال ذلك العبارة الإنجليزية She looked at him التي يقابلها بالفرنسية Elle le regarda وبالعربية "نظرت إليه". ففي العبارة الفرنسية حذف حرف الجر at لأن الفعل regarder هو فعل متعد مباشر، أي أنه لا يحتاج إلى حرف جر، ووضع الضمير قبل الفعل حسب ما تقتضيه قوانين اللغة الفرنسية. أما في العبارة العربية فنجد تطابقاً مع العبارة الإنجليزية.

يمكن اعتماد الترجمة الحرفية طالما كانت النتيجة مرضية، وحصلنا على نص مقبول في اللغة الهدف لا يتعارض مع بنياتها. أما إذا لم تف هذه الترجمة بالغرض، يلجأ المترجم عندئذ إلى الترجمة غير المباشرة لأن الرسالة :

- أعطت معنى مغايرا،
- لم تؤد المعنى،
- استحالت ترجمتها لأسباب بنيوية،
- لا تتطابق مع أي شيء في اللغة الهدف،
- تتطابق مع شيء ما ولكن من سجل لغوي مختلف،

لننظر في العبارتين الإنجليزيتين الآتيتين : (١) He looked at the map (٢)He looked the picture of health . يمكننا ترجمة العبارة الأولى ترجمة حرفية إلى اللغتين الفرنسية Il regarda la carte والعربية " نظر إلى الخارطة ". ولكننا لا نستطيع ترجمة العبارة الثانية بنفس الطريقة، لا إلى الفرنسية Il paraissait l'image de la santé ولا إلى العربية " كان يبدو صورة الصحة ". لأن العبارة المكافئة بالفرنسية هي Il se portait comme un charme، وبالعربية " كان يبدو في صحة جيدة " أو " كانت تبدو عليه علائم الصحة " [١٩ ، ص٤٧ -٤٨].

ثانيا: الترجمة غير المباشرة ولها أنواع أربعة هي

١- التحوير Transposition

وتقوم هذه الوسيلة على استبدال جزء من الرسالة (الاسم أو الفعل أو الصفة أو حرف الجر...) بجزء آخر دون أن يؤدي ذلك إلى ضياع في المعنى ولا إلى تغيير في مضمون الرسالة. والتحوير وسيلة موجودة في إطار اللغة الواحدة، إذ يمكن أن نقول باللغة العربية " اعمل ذلك قبل أن تذهب " أو " اعمل ذلك قبل ذهابك " أي أننا استبدلنا الجملة الفعلية في

الجملة الأولى بمجموعة اسمية في الجملة الثانية. وبالفرنسية نحصل على الجملتين التاليتين: Fais-le avant de partir و Fais-le avant ton départ .

أمثلة

- لننظر إلى العبارة الإنجليزية He ran across the street التي يقابلها بالعربية " اجتاز الشارع جرياً "، لأنه لو ترجمنا العبارة حرفياً : " جرى عبر الشارع " لما أدينا المعنى. وكذلك الأمر بالنسبة للغة الفرنسية Il travsrsa la rue en courant. لأن عبارة Il courut à travers la rue تعني أنه " ركض عبر الشارع " وبالتالي فهي لا تؤدي أيضاً المعنى الذي تتضمنه العبارة الأصلية.

- يقول الفرنسيون عندما يقدمون أنفسهم Je m'appelle Pierre، يقابلها بالإنجليزية my name is Pierre ، أي أن الفعل في اللغة الفرنسية يصبح اسماً في اللغة الإنجليزية. أما اللغة العربية فتقبل التعبيرين : أدعى فلاناً، واسمي كذا.

- نجد في قانون السير البريطاني Give way التي يترجمها الفرنسيون Priorité à droite ما يعني بالعربية " الأفضلية لليمين أو للقادم من اليمين". أي أن اللغتين الفرنسية والعربية تستبدلان الفعل الإنجليزي بمجموعة اسمية.

- في حالة وقوع حادث ما يقول أحدهم Go for help ، يقابلها بالفرنسية allez chercher du secours وبالعربية " اذهب واطلب النجدة " أو" اطلب النجدة ". أي أن حرف الجر الإنجليزي for استبدل بفعل chercher بالفرنسية وفعل "اطلب" بالعربية.

- تطالعنا الإنجليزية بعبارة as soon as they returned home التي يقولوها الفرنسيون Dès leur retour chez eux ، ونقول بالعربية "فور عودتهم إلى المنزل".أي أن الفرنسية والعربية استبدلتا الجملة الفعلية الإنجليزية بمجموعة اسمية.

حالات خاصة

يمكن أن تندرج في إطار التحوير حالتان خاصتان هما التبديل الثابت، والترجمة بالزيادة أو النقصان.

- **التبديل الثابت chassé-croisé**

هذه الطريقة التي يمكن تسميتها التحوير المتعاكس transposition croiseé هي في الحقيقة تحوير مزدوج . فعندما ترجمنا سابقاً العبارة الإنجليزية He ran across the street بالعبارة الفرنسية Il traversa la rue en courant والعربية " اجتاز الشارع جرياً "، أجرينا تحويرين : الفعل الإنجليزي ran تحول بالفرنسية إلى اسم فاعل en courant وحرف الجر across تحول إلى فعل traversa. أما بالعربية فأصبح الفعل الإنجليزي حالاً "جريا "، وتحول حرف الجر إلى الفعل " اجتاز ".

أمثلة أخرى

The plane thundered down the runway
L'avion s'élança sur la piste avec un bruit de tonnerre

انطلقت الطائرة على المدرج كالرعد.

He marched off -
Il partit à grandes enjambées

انطلق بخطى حثيثة.

He shot the spy dead -

Il tua l'espion d'un coup de revolver-
قتل الجاسوس بطلقة مسدس / بعيار ناري.

- It will wash out
ça partira au lavage
سيزول ذلك بالغسيل.

The leaves had been blown away -
Les feuilles avaient été emportées par le vent
جرفت الريح أوراق الشجر.

أخيرا، يمكن أن يكون التحوير المتعاكس غير مكتمل إذا كان السياق يسمح بحذف الكلمة الثانية لعدم ضرورتها. مثال ذلك العبارة الإنجليزية He walked across the street التي تعطي بالفرنسية Il traversa la rue وبالعربية " اجتاز الشارع ". أي أن حرف الجر across تحول إلى فعل traversa بالفرنسية و" اجتاز " بالعربية . أما نقل الفعل الإنجليزي walked إلى الفرنسية en marchant والعربية "سيراً على الأقدام" فهو غير ضروري، لأن من البديهي أن يجتاز الإنسان الشارع على قدميه.

- **الترجمة بالزيادة étoffement والنقصان effacement ou allègement**

الترجمة بالزيادة هي وسيلة تقوم على إضافة كلمة أو أكثر للتعبير عن نفس الرسالة التي يتضمنها النص الأصلي. أما الترجمة بالنقصان فهي وسيلة تقوم على ترجمة مجموعة من الكلمات من النص الأصلي بمجموعة أخرى عدد كلماتها أقل في اللغة الهدف. مثال ذلك العبارة الإنجليزية My house is bigger than my uncle' s التي يقابلها بالفرنسية Ma maison est plus grande que celle de mon oncle وبالعربية " منزلي أكبر من منزل عمي

(خالي) ". هكذا نكون قد ترجمنا بالزيادة. أما إذا كانت اللغة الإنجليزية في هذا المثال هي اللغة الهدف، فتكون الترجمة بالنقصان.

أمثلة أخرى

The trade deficit rose to a record $60 billion
Le déficit commercial a atteint le chiffre record de 60 milliards de dollars
ضرب العجز التجاري رقماً قياسياً بلغ ٦٠ مليار دولار.

These companies will be puniched through tariffs -
Ces compagnies seront sanctionnées par l' application de -tarifs douaniers

سوف تعاقب هذه الشركات بفرض رسوم جمركية.

He booked into a hotel -
Il réserva une chambre dans un hôtel
حجز غرفة في فندق / حجز في أحد الفنادق.

He was running for his life
Il courait pour sauver sa vie
جرى / هرب لينجو بحياته أو إنقاذا لحياته.

٢- التكييف Modulation

وهو وسيلة ترجمية يلجأ إليها المترجم عندما يرى أن الترجمة الحرفية أو حتى المحورة قد تفضي، في اللغة الهدف، إلى عبارة صحيحة نحوياً وإنما لا تتناسب مع روح اللغة وطرائق التعبير فيها. وهذه الطريقة لا تقوم كسابقتها على التغييرات الشكلية في أنواع الكلام، وإنما على التغيير في الرسالة نفسها، أي أن التكييف يعمل على صعيد الفكرة، وذلك بتغيير المنظور أو زاوية الإضاءة، كأن نقول " شبعت " ترجمة للعبارة الفرنسية Je n'ai plus faim التي تعني في الواقع " لم أعد جائعا "، أو " كل عام وأنتم بخير" ترجمة

لعبارة Bonne fête الفرنسية. والعبارة الإنجليزية do not enter (لا تدخل) تصبح بالفرنسية entrée interdite وبالعربية " ممنوع الدخول ".

و تجدر الإشارة إلى أن التكييف يمكن أن يكون اختيارياً أو إلزامياً. فنقل العبارة الإنجليزية It is not difficult to show بصيغة الإثبات إلى الفرنسية Il est facile de démontrer والعربية " من السهل أن نبرهن ... " هو أمر اختياري. أما ترجمة The time when ب le moment où و"في الوقت الذي" فهي إلزامية. فلو قلنا بالفرنسية le temps où لتغير المعنى وأصبح كما في العربية " في الزمن الذي "، وليس هذا هو المقصود بالعبارة الإنجليزية. ويمكن التمييز بين التكييف الذي يتناول المفردات والتكييف الذي يطال القواعد النحوية.

- **التكييف على صعيد المفردات :**

يقوم هذا النوع من التكييف بشكل أساسي على استبدال كلمة بأخرى تربط بينهما علاقة منطقية (الجزء عوضا عن الكل أو العكس – الوسيلة عوضا عن النتيجة أو العكس ...)

أمثلة

He swung the bill in my face
Il m'agita l'addition sous le nez
لوح بالحساب في وجهي.

Il s' éclaircit la voix
He cleared his throat
ينظف / ينقي حنجرته (بالتنحنح).

- Life-jacket
Gilet de sauvetage

سترة النجاة.

Pare-brise
Windshield
حاجب الريح (وهو الزجاج الأمامي في السيارة).

He read the book from cover to cover
Il lut le livre de la première à la dernière page
قرأ الكتاب من أوله إلى آخره.

- **التكييف على صعيد القواعد والنحو :**

يقوم التكييف هنا بشكل خاص على استبدال النفي بالإثبات، والمبني للمجهول بالمبني للمعلوم، أو العكس، وعلى تغيير ترتيب الكلمات في المجموعة.

أمثلة

الإثبات والنفي

The houses were all dark
Pas une maison n'avait de lumière
كانت البيوت كلها مظلمة.

- He has been a source of disturbance ever since
- Il n'avait cessé d être une source de problèmes depuis

إنه سبب المشاكل منذ ذلك الحين / والأفضل أن نلجأ إلى التقديم والتأخير ونقول : منذ ذلك الوقت وهو لا يكف عن إثارة المشاكل.

- More with rage than timidity
Moins par timidité que par colère

نتيجة الغضب أكثر من الخجل.

- Elle avait de la peine à le suivre
She followed him as best she could
كانت تتبعه بعناء.

- He has a guilty conscience
Il n'a pas la conscience tranquille
لديه شعور بالذنب / لا يشعر بارتياح الضمير

- I know as little as you do about it
Je n'en sais pas plus que vous
لا أعرف عن الأمر أكثر مما تعرف أنت.

المبني للمجهول والمبني للمعلوم

- He had to be forcibly restrained from leaving
On dut employer la force pour l'empêcher de partir -
اضطررنا لاستخدام القوة للحيلولة دون رحيله (لمنعه من الرحيل).

- Their flight was not yet being called
On n'avait pas encore annoncé leur vol / leur vol n'avait pas - encore été annoncé.
لم يكن قد أعلن بعد عن إقلاع رحلتهم.

- You are wanted on the phone
On vous demande au téléphone
أنت مطلوب على الهاتف.

He is regarded as the best student
Il passe pour être le meilleur étudiant

يعتبر أفضل طالب / إنه أفضل طالب.

We are not allowed to use a dictionnary
On ne nous permet pas de nous servir d'un dictionnaire / L'usage - du dictionnaire nous est interdit

لا يسمح لنا باستخدام القاموس / يحظر علينا استخدام القاموس.

I was sure the police would be called in
J'étais sûr qu'on ferait venir la police
كنت متأكدا من استدعاء الشرطة.

تغيير ترتيب الكلمات

As if he owned the house
Comme si la maison lui appartenait
كأنه امتلك المنزل / كما لو كان المنزل ملكاً له.

He was knee deep in water
L'eau lui arrivait aux genoux
كان الماء يصل إلى ركبتيه / كان الماء يغطي ركبتيه / كانت ركبتاه غائصتان في الماء (تحوير + تكييف).

The joke was on me
Je fis les frais de la plaisanterie
استهدفني المزاح / كنت هدفا للمزاح.

His clothes hung loosely around him
Il flottait dans ses vêtmemts
كان يرتدي ملابس فضفاضة.

You can have it
Je vous le laisse / Tu peux l'avoir-
يمكنك أن تأخذه/ها.

تغيير صيغة الجملة

Il était d'un sérieux-...

! How grave he was

كم كان جدياً !

Singing in the rain
Chantons sous la pluie

- غناء تحت المطر.

Say the word and you re dead -
Si tu prononces ce mot, tu es mort

-

لو لفظت الكلمة ، أنت ميت.

You re quite a stranger
On ne vous voit plus

أصبحت كالغريب (لم نعد نراك).

٣- المعادل أو المقابل Equivalence

قد نصادف نصين يشيران إلى موقف واحد وإنما يعبران عنه بوسائل أسلوبية وبنيوية مختلفة تماماً. في هذه الحالة نقول إن ثمة تعادل أو تقابل بين الموقفين. يلجأ المترجم إلى الترجمة بالمعادل أو المقابل عندما لا تجدي الترجمة الحرفية نفعا ، ولا يساعد التحوير ولا التكييف في التعبير عن الموقف ذاته في اللغة الهدف. والمثال التقليدي على الترجمة بالمعادل أو المقابل هو ردة فعل ذلك الشخص الذي يثبت مسماراً في مكان ما وتصيب المطرقة أصابعه ، فإن كان فرنسياً صرخ : "! Aïe "، وإن كان إنجليزياً صاح : " Ouch ! ". فالترجمة بالمعادل تطال إذن الرسالة برمتها وبمعناها الإجمالي ، و تشمل العبارات الثابتة ، والحكم والأمثال ، وآداب السلوك ، وأدوات التعجب والاستفهام وما إلى ذلك. وهي

تتطلب من المترجم معرفة عميقة بثقافة اللغتين المصدر والهدف فضلا عن المعرفة الجيدة بالنظامين اللغويين. لنأخذ مثالاً آخر بسيطاً وهو الرد على عبارة الشكر الإنجليزية thank you. فلا يمكن أن نترجم الرد الإنجليزي you re welcome إلى الفرنسية tu es (le) bienvenu [١٩ ، ص٥٢]، ولا إلى العربية " على الرحب والسعة " أو " أهلا وسهلا ". وإن كان البعض يستخدم هاتين العبارتين أحيانا. إن العبارة المعادلة أو المطابقة هي بالفرنسية واحدة من هذه العبارات الثلاث de rien, il n'y a pas de quoi, je t'en prie وبالعربية " عفوا "، ومنهم من يقول " لا شكر على واجب " تبعاً للموقف التواصلي.

أمثلة أخرى

To return empty handed
Revenir bredouille
رجع بخفي حنين / رجع صفر اليدين

- a far-fetched hypothsis
une hypothèse tirée par les cheveux
- نظرية واهية.

Over my dead body
ça jamais/jamais de la vie
هذا غير ممكن على الإطلاق !

It's raining cats and dogs -
Il pleut des cordes
تمطر بغزارة.

Too many cooks spoil the broth
Deux patrons font chavirer la barque
كثرة الأيادي تحرق الطعام.

- A man is known by the company he keeps

Dis-moi qui tu fréquentes, je te dirai qui tu es

قل لي من تعاشر أقل لك من أنت .

ويذكرنا هذا المثل بقول الشاعر :

لا تسألن عن ا مريء واسأل به إن كنت تجهل أمره ما الصاحب

وقول آخر :

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فإن القرين بالمقارن يقتدي

٤- الاقتباس والتصرف Adaptation

هذا النوع من الترجمة يقع بين الترجمة والإبداع لأنه يقوم على التعبير عن موقف في اللغة المصدر لا وجود له في اللغة الهدف، وذلك بالرجوع إلى موقف مشابه يؤدي الغرض. إن الاقتباس والتصرف نوع من المعادلة والمقابلة وإنما على صعيد الموقف. وأبسط حالات الاقتباس والتصرف نصادفها في ترجمة المقاييس والأوزان المختلفة، كاستبدال الأميال بالكيلومترات على سبيل المثال، وأعقدها ترجمة العبارات التي تتضمن تلاعباً بالألفاظ.

مثال على الاقتباس والتصرف، اللون البني باللغة الإنجليزية، brown، الذي يقابله بالفرنسية أكثر من لون واحد، وكذلك الأمر بالنسبة إلى العربية إذ نجد :

- eyes brown يقابلها بالفرنسية des yeux bruns وبالعربية : عيون عسلية

brown butter يقابلها du beurre roux ، زبدة صفراء

brown shoes يقابلها des chaussures marron ، حذاء بني

brown bread يقابلها du pain bis ، خبز أسمر

brown paper يقابلها du papier gris ، ورق أسمر

brown hair يقابلها des cheveux châtins ، شعر كستنائي.

أمثلة من الحياة الاجتماعية

- عندما يستخدم الإنجليز عبارة residential areas يقصدون بها الأحياء السكنية التي تخلو من المحال التجارية. يقابل هذه العبارة بالفرنسية les beaux quartiers الأحياء الراقية، علماً بأن هذه الأحياء الفرنسية الراقية لا تخلو من المحال الراقية.

- Le quartier des affaires ، حي الأعمال، أو le centre ville ، مركز المدينة، يقابله في إنجلترا downtown وفي الولايات المتحدة business center .

- إذا جلس أحدهم في إنجلترا على عتبة بيته يستنشق الهواء يقال إنه sitting on the porch ، وهي عبارة لا يمكن أن نجد لها بالفرنسية أفضل من Il prend le frais sur le pas de sa porte.

- العبارة الإنجليزية He shook me by the hand ينبغي نقلها إلى الفرنسية Il me serra la main avec effusion والعربية " شد على يدي بحرارة ". ذلك أن الأنجلوساكسون قلما يصافحون باليد. وعبارة He greeted his father يمكن أن ننقلها إلى Il embrassa son père و"قبل أباه"، وليس إلى Il salua son père و" حيا أباه ". والعكس غير صحيح، لأن العبارة الإنجليزية He kissed his father لا تستخدم إلا إذا تعلق الأمر بطفل صغير.

- نحن نعرف أن أطفال المدارس يضعون في حقيبتهم المدرسية عادة قطعة حلوى أو لوحاً من الشوكولاتة... يلتهمونها إذا ما باغتهم الجوع وهم في المدرسة. إلا أن الأطفال البريطانيين يستبدلون هذه المأكولات بالتفاح. وهي عادة متأصلة في بريطانيا لدرجة أن رؤية سلة مليئة بالتفاح في واجهات المحال التجارية في شهر سبتمبر تكفي للإيحاء بافتتاح المدارس. لذلك من الأفضل أن نجد عبارة ملائمة في اللغة الفرنسية واللغة العربية لننقل إليهما العبارة الإنجليزية التالية The sight of those apples announced the re-opening of school ،

كأن نستبدل التفاح بالدفاتر والأقلام والمحافظ المدرسية [١٩ ، ص٢٦٣ -٢٦٤]، فنقول بالفرنسية :

La vue de ces cahiers, crayons et cartables annonçait la rentrée scolaire. لابد أن المترجم الذي عاش في الخارج، ودرس بعناية عادات الشعوب التي تعلم لغتها، وتقاليدها وطرائق تفكيرها، يدرك كل هذه الفروق.

الخاتمة

من الوسائل غير المباشرة الأربع التي أتينا على ذكرها وسيلتان، (التحوير) transposition و (التكييف) modulation تساعدان في نقل رسالة ما في موقف معين بتغيير أنواع الكلام (استبدال الفعل بالاسم، إلخ ...) ، أو بالتغيير على صعيد الفكرة وطريقة التعبير عنها. أما في الترجمة بالمعادل أو المقابل équivalence فإننا نغير في الرسالة نفسها، ومع الاقتباس والتصرف adaptation ، وهي الحالة القصوى في الترجمة، فإن الموقف في النص الأصلي هو الذي يتعرض للتغيير. وينصح بعدم اللجوء إلى الوسيلتين الأخيرتين إلا عندما لا تسعف الترجمة الحرفية، ولا التحوير، ولا التكييف، في الوصول إلى نتيجة مرضية في اللغة الهدف.

يتبين مما تقدم أن الترجمة ممكنة تماماً لاسيما في النصوص التي تكون اللغة فيها مجرد وعاء للمعلومات أو وسيلة لنقلها. أما فيما يتعلق بالنصوص التي لا يقتصر دور اللغة فيها على إبلاغ مضمون معين، ويأخذ القالب اللغوي فيها شكلاً جديداً غير مألوف، يمكن القول إن ترجمتها صعبة وإنما ليست مستحيلة، فهي تتطلب إمكانيات إبداعية لا تتوفر لدى سائر المترجمين. أما التشويه الذي أثاره مونتسكيو فهو موجود لا محالة في كل نص مترجم مهما كان نوعه، وخاصة في النصوص الإبداعية ، شئنا ذلك أم أبينا.

وبمثابة خاتمة لبحثنا هذا نورد ما قاله أندريه جيد .André Gide[١٩] ، ص٢٦٧] في توطئة ترجمته للفصل الأول من مسرحية شكسبير الشهيرة هاملتHamlet . فقد شن الكاتب الفرنسي الشهير هجوما عنيفاً على الترجمات " الأمينة والدقيقة " التي تصبح غير مفهومة بسبب " حرفيتها "، وتحتاج بالتالي إلى صياغة جديدة. وينصح أندريه جيد المترجمين بترجمة الجمل دون الكلمات ، ونقل المعنى دون أن يضيع شيء من فكر الكاتب ومن الأحاسيس التي يعبر عنها. وهذا لا يتم، في رأي جيد، إلا ب" الغش المستمر " الذي يجعل المترجم يبتعد كثيراً عن النص الأصلي. ويضيف الأديب الفرنسي شرطاً أخيراً وهو أن يكون المترجم على اطلاع تام باللغة التي ينقل إليها، وأن يتمتع بصفات الكاتب المحترف.

نستخلص من أقوال جيد خمس نقاط رئيسة نفندها فيما يلي :

١ - لا نؤيد المعادلة التي أتى بها جيد بين الترجمة الحرفية من جهة، والدقة والأمانة من جهة ثانية، لأن في الخيار بين الترجمة الحرفية والترجمة الحرة طرح خاطئ للمشكلة. والأصح هو أن نطرح الخيار بين الترجمة الدقيقة والترجمة غير الدقيقة. وقد بينا فيما تقدم أنه لا يجب الابتعاد عن الحرفية إلا احتراماً لمتطلبات اللغة الهدف وتفادياً لإخراج نص يصعب فهمه. بعبارة أخرى نقول إنه لا ينبغي اللجوء إلى الترجمة الملتوية أو غير المباشرة إلا عن دراية تامة وفي الحدود التي أتينا على ذكرها. يجب أن نبقى حرفيين في الترجمة طالما حصلنا على نص مقبول في لغة الوصول، مع التأكد التام من أن الرسالة لم تفقد شيئاً، أو بالأصح لم تفقد الكثير من مضمونها.

٢ - إذا كان صحيحاً أنه لا يجب أن نترجم الكلمات، لا يعني ذلك أن الوحدة الدلالية تكون دائماً في الجملة. فالجملة رسالة تحتاج إلى تحليل، باستثناء الحالات الخاصة التي نترجم فيها الرسالة ترجمة تلخيصية. والوحدة الترجمية لا تقتصر على الكلمة، ولكنها لا تغطي الجملة الكاملة إلا نادراً. وهذا الموضوع يحتاج في الحقيقة إلى بحث مستقل.

٣ - إن الغش الذي يتكلم عنه جيد ليس له ما يبرره عندما نقر أن الانتقال من لغة الانطلاق إلا لغة الوصول يستدعي اللجوء إلى بعض الوسائل المشروعة التي تأخذ في اعتبارها السمات الخاصة بكل من اللغتين، فلا نبتعد عن النص الأصلي إلا لنؤدي المعنى بشكل يتناسب مع روح اللغة الهدف، ويرضي القارئ في آن معاً.

٤ - خطير أن نوصي المترجم بالابتعاد عن الحرفية دون وضع حدود لهذا الابتعاد. يجب أن نحدد هامشاً يبقى المترجم في إطاره. وهذا ما فعلناه عندما استعرضنا وسائل الترجمة غير المباشرة التي تمثل هذا الهامش الذي ينبغي على المترجم أن يبقى داخل حدوده.

٥ - نؤيد الأديب الفرنسي في قوله إن المترجم ينبغي أن يكون متقناً لغة الانطلاق و متمكناً من لغة الوصول (التي هي لغته الأم من حيث المبدأ)، ولكن يجب ألا ننتظر من سائر المترجمين أن يكونوا جهابذة في فن الكتابة. لنقل إن المعرفة الجيدة باللغتين والمصحوبة بأسلوب صحيح تساعد في تفادي الكثير من الأخطاء التي تسيء إلى جمالية الترجمة. إذ يمكن أن يتقن المرء لغة ما دون أن يكون كاتبا مرموقاً، تماماً كما يمكن أن نصادف كاتباً مرموقاً يمكن أن يكون مترجماً رديئاً.

لاشك أن المشكلة الجوهرية في الترجمة هي مشكلة الأمانة التي ينطلق منها الجميع في تحليلاتهم، ويستندون إليها في إطلاق آرائهم وأحكامهم في إمكانية الترجمة أو استحالتها. وهي قضية عمرها ٢٠٠٠ سنة وترجع إلى عصر شيشرون Cicéron الذي كان ينصح بالابتعاد عن الترجمة الحرفية verbum pro verbo [١٠ ، ص١٠]. وقد تراوحت الحلول المطروحة بين التقيد بالرموز اللغوية للنص الأصلي والترجمة الحرة. ولكن يجب القول إن مفهوم الأمانة هذا يكتنفه كثير من الغموض، فهو يشتمل على تصورات مختلفة ومتباينة. إذ يعني بالنسبة للبعض الأمانة لمضمون الرسالة، بينما يقصد به آخرون ترجمة الأصل كلمة - كلمة... ونستطيع القول إن فرط استخدام هذه الكلمة قد أفرغها من محتواها. نرى

أنه من الضروري أن نميز بين الترجمة الأدبية التي كانت تشغل في الماضي حيزاً كبيراً من المادة المترجمة، وكان المهتمون يطلقون أحكامهم استناداً إليها كما فعل مونتسكيو وغيره، والترجمة في المجالات الأخرى (التقنية، والعلمية، والاقتصادية...) التي لم تترك اليوم إلى الترجمة الأدبية سوى حيزاً ضئيلاً. ومن الطريف في هذا السياق أن المترجمين الذين يعملون في مجال الترجمة العلمية والتقنية يحسدون مترجمي الأدب لأن هؤلاء لا يواجهون صعوبات تذكر في العثور على المفردات المناسبة، بينما يحسد هؤلاء أولئك لأن الصعوبات التي يواجهونها تقتصر على المفردات فقط [٧، ص٧].

ومن ناحية أخرى نرى أنه بدلاً من إطلاق أحكام مطلقة باستحالة الترجمة أو إمكانيتها، ينبغي أن نرى في الترجمة عملية نسبية في نجاحها، متغيرة في المستويات الإتصالية التي تبلغها. والتواصل بالترجمة، كما يقول مونان، ليس تواصلاً نهائياً، مما يعني أن الترجمة ليست مستحيلة حتماً.

أخيراً نقول إننا لا نرى أي تعارض بين الوسائل المباشرة (الترجمة الحرفية) وغير المباشرة (الترجمة الحرة) للترجمة، بل هي تكمل بعضها بعضا، فالأولى لها الأولوية عندما تمكننا من إخراج نص صحيح لا يتعارض مع بنيات اللغة الهدف، والثانية تساعدنا في الحصول على النتيجة ذاتها عندما لا تسعفنا الترجمة الحرفية. هذا فضلاً عن أن هذه الوسائل تستجيب لمطالب أنصار الحرفية ودعاة الحرية في الترجمة في آن معاً.

المراجع

[١] الترجمة : قضاياها النظرية والتطبيقية، *مجلة الآداب*، (يوليو - أغسطس ١٩٩٩م).

[٢] الترجمة : ما لها وما عليها، *الفيصل*، عدد ٢٣٩، سبتمبر– أكتوبر ١٩٩٦م.

[٣] د. قسطندي شوملي. *مدخل إلى علم الترجمة*، ، ١٩٩٦م

[٤] د. عبد العليم منسي وآخرون. الترجمة : أصولها ومبادئها وتطبيقاتها، ، ١٩٩٥م.

[٥] د. فوزي عطية. *علم الترجمة : مدخل لغوي*، دار الثقافة الجديدة، القاهرة.

[٦] *الترجمة ونظرياتها* إعداد مجموعة من الأساتذة، بيت الحكمة، قرطاج، ١٩٨٩م.

[٧] لطيف زيتوني. *حركة الترجمة في عصر النهضة*، دار النهار، بيروت، ١٩٩٤م.

[٨] Michel Ballard, *Relations discursives et traduction*, Presses Universitaires de Lille, 1995.

[٩] François Gallix, Michel Walsh, *La traduction littéraire*, Paris, Hachette, 1997.

[١٠] Amparo Hurtado Albir, *La notion de fidélité en traduction*, Paris, Didier, 1990.

[١١] Colette Laplace, *Théorie du langage et théorie de la traduction*, Paris, Didier, 1994.

[١٢] Marianne Lederer, *La traduction aujourd'hui*, Paris, Hachette, 1994.

[١٣] Marianne Lederer, Fortunato Israël, *La liberté en traduction*, Paris, Didier, 1991.

[١٤] G. Mounin, *Les problèmes théoriques de la traduction*, Paris, 1963.

[١٥] G. Mounin, *Les belles infidèles*, Presses Universitqires de Lille, 1994. 1ère édition 1955.

[١٦] Inês Oseki-Dépré, *Théories et Pratiques de la traduction littéraire*, Paris, Armand Colin, 1999.

[١٧] Maurice Pergnier, *Les fondements socio-linguistiques de la traduction*, Presses Universitqires de Lille, 1993.

[١٨] Isabelle Perrin, L'anglais : *comment traduire* ? Paris, Hachette, 1996.

[١٩] J.P.Vinay, J.Darbelnet, *Stylistique comparée du français et de l'anglais*, Paris, Didier, 1958. Ed. consultée, 1999.

Translation problems : applied study

Mohamed Nabil Nahas Homsi

Associate Professor,
Department of European
Languages and Translation,
College of Languages and Translation,
King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

(Received on 27/1/1422H.; accepted for publication 18/2/1422H.)

Abstract. The absence of complete equivalence among languages on all levels makes translation a difficult if not an impossible mission. Does this mean that we should stop translating ? Of course not.

In this paper, we shed light on the techniques translators use to overcome the difficulties they face. Translators are obliged to use these techniques in order to render a text that does not deform the target language but abide with its styles.

In this respect, there are seven types of technique, three are direct : *borrowing, calque* and *literal translation.* The other four are indirect : *transposition, modulation, equivalence* and *adaptation.* It goes without saying that translators should not overuse these techniques, but resort to them only in cases whene they can not produce a smooth text in the target language..